آراء

الترامبية... أكبر من حدث انتخابي

حسن مدن

كتبت قبل أربع سنوات، عند إعلان هزيمة دونالد ترامب أمام الرئيس المنتهية ولايته اليوم، جو بايدن، ما مفاده بأنّ تلك الهزيمة لا تعني أنّ الترامبية إلى زوال، «فترامب عنوان لمرحلة مأزومة في أميركا، وليس هو من صنع الأزمة، وإنما الأزمة جاءت برجلٍ مثله رئيساً». وحتى في تلك الانتخابات التي خسرها ترامب، لم تكن هزيمته مُدويّة، وقد كابر طويلاً في الاعتراف بهزيمته. لذا، عمل الديمقراطيون خلال السنوات الأربع المنقضية على تدبير المكائد ضدّ خصمهم اللدود بغية إدانته قضائياً، بطريقة تحول دون عودته إلى البيت الأبيض، وهو ما كان قد عقد العزم عليه بإصرار، وها هو يكسب الرهان. على خلاف ما اشتهى قادة الحزب الديمقراطي، كلّ قضية نظر فيها القضاء ضدّ ترامب، بما فيها التي دين فيها، لم تُفقده شيئاً من شعبيته المتنامية، خصوصاً لدى القاعدة الشعبية البيضاء والأقلّ تعليماً، بل إنّها زادت من هذه الشعبية، لأنّ ترامب برع في توظيف تلك المكائد لصالحه، بإظهار نفسه في صورة الضحية. ومن حيث لم يتوقّع الديمقراطيون، جاءت المحاولة الغامضة لاغتيال ترامب قبل شهور لتزيد في شعبيّته، ولتجعل طريقه نحو البيت الأبيض سالكاً أكثر ممّا كان. عامل آخر كان له أثر كبير في فوز ترامب أخيراً، غياب المنافس الديمقراطي القادر على مناوأته انتخابياً، فلا الرئيس بايدن كان قادراً على أن يكون كذلك، بسبب ما أظهره تقدّم العمر عليه من ضعفٍ في الأداء وتشتّت في الذهن، ولا نائبته كامالا هاريس التي تنازل لها بايدن، متأخّراً، لتصبح مرشّحة الديمقراطيين في الانتخابات. فمن جهة، لم تنل هاريس الفترة الكافية لتنظيم حملة انتخابية ناجحة إزاء حملة ترامب، رغم أنها نالت دعماً مالياً كبيراً بعيْد اعتمادها مرشّحة ديمقراطية للرئاسة. ومن جهة أخرى، لا تملك هاريس الكاريزما القادرة على مواجهة حضور ترامب الشعبي الواسع، ولا الكفاءة السياسية التي تُمكّنها من تقديم خطاب انتخابي مقنع. يلفتنا تقرير في موقع بي بي سي إلى ما قالته هاريس، قبل أقلّ من شهر، في مقابلة تلفزيونية كان يعوّل عليها في تحسين فرصها في الفوز، حين سُئلت عما ستفعله مختلفاً عن الرئيس جو بايدن، فأجابت: «لا شيء يتبادر إلى ذهني حالياً». ولا يُعبّر هذا القول عن سوء اختيار للإجابة فقط، بل عن الحقيقة، فهي بالفعل لا تملك شيئاً مختلفاً عن رئيسها، الذي بدا عاجزاً عن ممارسة أي ضغط على رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لوقف المجازر البشعة في غزّة، وبارك العدوان على لبنان، وزوّد إسرائيل بكل ما تحتاجه من عدّة وعتاد، بما فيها أشدّ الأسلحة فتكاً. وقد انتقد السيناتور الديمقراطي بيرني ساندرز حملة الحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئاسية، قائلاً إنّ «الشعب الأميركي غاضب ويريد التغيير، وهو على حقّ في ذلك»، وفق تعبيره.

بعيداً عن الحدث الانتخابي، علينا أن ننظر إلى مجيء ترامب للمرّة الأولى، من خارج السياسة، من عالم المال والأعمال ليصبح رئيساً لأميركا، وعودته الكاسحة مرّة أخرى، في سياق أشمل، إذ جعل ترامب من «الأمركة» من خلال شعاره «أميركا أولاً»، بديلاً للعولمة، التي طالما قدّمتها أميركا للعالم بوصفها نظاماً عالمياً تتزعمه هي، فظهرت أقطاب دولية وازنة أعادت صوغ هذا المفهوم، بل لعلّ أميركا أدركت (ولو متأخّرة) أن العولمة بدل أن تكون أداةَ هيمنةٍ أميركية على العالم، أصبحت وسيلةً لظهور منافسين اقتصاديين أشدّاء، في مقدّمتهم الصين. ومن هنا، أصبحت العودة إلى «أميركا أولاً» شعاراً جاذباً، شعبياً، في أوساط الناخبين الأميركيين، الذين راقهم ما يُكرّره ترامب عن مدى جدوى ما تنفقه أميركا من أموال من دون مقابل، على حلفائها في حلف شمال الأطلسي (ناتو)، أو ما تقدّمه من عونٍ مالي وعسكري مبالغ فيه إلى أوكرانيا في حرب ضدّ روسيا، واضح منذ البداية أنّها خاسرة.

تتعيّن قراءة فوز ترامب الساحق في إطار صعود الموجة الشعبوية التي تجتاح الغرب، تعبيراً عن أزمة عميقة في العالم الرأسمالي، انتهت إليها العولمة بالمفهوم الغربي، والسياسات النيوليبرالية التي قُدّمت وصفةً، حتى للبلدان النامية، وجرّت ما جرّت من ويلات، ورؤية هذا الصعود لا بوصفه حلاًّ للأزمة، فترامب نسخة رأسمالية أخرى، وإنما بكونه تعبيراً عن المأزق الذي انتهت إليه هذه السياسات.

الأردن وحقبة ترامب الثانية... تحدٍّ كبير

محمد أبو رمان

اهتمام كبير في عمّان بعودة دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة، تُترجمه نقاشات وحوارات إعلامية وسياسية مُعلَنة ومُغلَقة (وتأثير ذلك في الأردن) بين اتجاهين رئيسَين. يرى الأول أنّ من المُبكّر الحكم والتهويل أو التخويف والمبالغة في التوقّعات، لما يعنيه ذلك في المصالح الاستراتيجية الأردنية. ويرى الثاني أنّ أجندة ترامب الإقليمية لا تحمل خيراً للأردن، بل تمثّل في مآلاتها وحيثياتها، خاصّة ما يتعلّق بمنظوره للأمن الإقليمي أو للسلام الإقليمي، تحجيماً للأردن ودوره السياسي.

بدايةً، من الضروري الإشارة إلى أنّ ضيفاً أميركياً (في ندوة مغلقة في معهد السياسة والمجتمع في عمّان في منتصف سبتمبر/ أيلول 2024) عمل في موقع دبلوماسي مهمّ في إدارة ترامب، لم يُخفِ أن إدارة ترامب تقلّل من شأن الأردن وقيمته الاستراتيجية، ومن دوره الإقليمي في المنطقة، مقارنةً بالإدارات الأميركية الأخرى، وبالتحالف التاريخي بين الدولتَين. وبالرغم من أنّ الضيف أكّد أن الفريق الذي سيعمل مع ترامب في قضايا الخارجية والأمن والدبلوماسية لن يكون نفسه في الإدارة الأولى، بمن فيهم صهره جاريد كوشنِر (لا تتمتّع علاقته بالأردن بالودّ، بل هنالك مواقف حادّة متبادلة)، فإنّ الفريق الجديد القادم، وفقاً للضيف، لن يكون أفضلَ حالاً في مواقفه اليمينية والمتشدّدة لصالح إسرائيل، ولمصالحها وأمنها القومي. وبالرغم من أنّ ترتيب لقاء بين الملك عبد الله وترامب لم ينجح (لأسباب لوجيستية) خلال آخر زيارة للملك واشنطن (سبتمبر/ أيلول الماضي)، لكن هنالك اتصالات جرت بين مسؤولين أردنيين وشخصيات بارزة في حملة ترامب الانتخابية حينها، وهو أمر حرص عليه الأردن، حتى في تهنئة الملك الرئيس الأميركي المنتخب (ترامب)، في سعي إلى تأكيد «النيات الحسنة» أردنياً للتعامل مع الإدارة الجديدة، بالرغم من أن علاقة الملك بترامب في العامَين الأخيرَين من ولايته الأولى اتّسمت بالجمود والفتور الشديد، وغياب أي لقاء شخصيّ مباشر. بالعودة إلى النقاش الأردني، يستند أصحاب الرأي أن عودة ترامب لا تعني أمراً كارثياً للأردن إلى ثلاث فرضيات: الأولى، أنّ هنالك علاقة مؤسّسية متينة بين الدولتَين لا تتأثر بتغيّر الأحزاب الحاكمة ولا الشخصيات في واشنطن، ويعزّزون رؤيتهم بأن المساعدات الأميركية زادت إلى الأردن في عهد ترامب، بالرغم من الفتور على مستوى القيادة. الثانية، أنّه لا بدّ من التمييز بين المصالح الاستراتيجية الأردنية وموقف الأردن الداعم للفلسطينيين، وعدم الخلط بين الملفَّين، لأنّ ذلك مضرّ بالأردن وأمنه وعلاقاته الإقليمية. الثالثة، أنّ ترامب ليس شخصيةً يمكن توقّع سلوكها بسهولة، فيمكن أن يكون في الفترة التالية مختلفاً بصورة كبيرة عن الأولى، وهو رجل صفقات، وليس رجلَ حروبٍ وصراعاتٍ، فهو يُصعّد حتى يصل إلى نتائج جيّدة.

تركّز وجهةُ النظر الأخرى، التي ترى في عودته مشكلةً حقيقيةً للأمن الوطني والمصالح الاستراتيجية الأردنية، في جملة من الفرضيات الرئيسة. الأولى، أن ترامب لا يرى الأردن شريكاً لامعاً، وهو يستبدل الخليج الثري، خاصّة السعودية والإمارات، بالأردن في شبكة حلفائه المهمّين، وقد يحمل ترامب في عودته اللاحقة نظرةً انتقامية للقادة والمسؤولين كلّهم، الذين بدت توجّهاتهم مناقضة له بعد رحيله. الثانية، أنه لا يمكن فكّ الاشتباك بين القضية الفلسطينية والأمن القومي الأردني ومقتضياته ومصالح الأردن الاستراتيجية. ومعروف أنّ منظور ترامب (أعاد طرح «صفقة القرن» أم لا أو عدّلها أو أبقاها) يستند إلى منظور يميني متصهْين، وقد كانت فترته الأولى وبالاً على القضية الفلسطينية، على صعيد تجفيف الدعم لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، و«صفقة القرن»، و«السلام الإقليمي»، ونقل السفارة الأميركية إلى القدس، وما خفي منها أعظم، خاصّة ما يتعلّق بالشقّ الأردني.

حين تمتحن سورية تلك النبوءات كلّها

أيمن الشوفي

تستمدّ السرديّة الشيعيّة عن ظهور المهدي المنتظر، ونهاية الزمان، مسوغاتٍ حكائيّة عديدة من نماء الحرب والعسكرة داخل سورية، ومن التشظّي الذي يغلّف هذا البلد، وينحره في عدّة مواضع، ويقسّمه إلى ولاءات متباينة. وبالرغم من التصفية الإسرائيلية المُرعبة لقيادات حزب الله خلال الشهرَين الماضيَين (بصورةٍ خاصّة)، غير أنّ معتقداتٍ مثل معاركَ يخوضها أصحابُ الرايات الصفراء اللون ضدّ أعداء الشيعة إنما تُمهّد لظهور المهدي، وهذا الذي يُكسِب الجانب الحكائي مقداراً دلالياً مناسباً على التجسّد الواقعي، فلون رايات حزب الله هو الأصفر، ولم يكن من قبيل المصادفة اختياره منذ تأسيس الحزب عام 1982، ثم جاءت المعارك التي خاضتها هذه المليشيا اللبنانية منذ العام 2013 ضدّ الفصائل الإسلامية السنيّة المسلّحة المناهضة للنظام السوري، لتزيد من نفوذ الرواية الشيعيّة الميثولوجيّة داخل الوعي الجمعيّ لمناصريها، والمتعلّقة باقتراب نهاية الزمان، وظهور إمامه المُنتظَر، أي التمسّك باستيلاد عناصر حكائيّة جديدة تتحدّث عن المثالية والعدالة المُتجسِّدتَين بشخصية المهدي، وهو الإمام الثاني عشر في سلسلة الأئمة عند الشيعة، ونجد في كتاب «الكافي»، أحد أهم كتب الفقه الشيعيّ، لمؤلّفه محمد بن يعقوب الكليني، أحاديث منقولة تستعطف الظرف الموضوعي لأجل إخراج الأسطورة المهدويّة من الفضاء الحكائي إلى الكيان الواقعي الحسّي... لكنّ حديثاً منسوباً إلى جعفر الصادق، يقول فيه: «قبل قيام القائم خمسُ علامات محتومات، اليمانيّ، والسفيانيّ، والصيحة، وقتل النفس الزكيّة، والخسف بالبيداء»، الأمر الذي يدلّ على أنّ اقتراب ظهور المهدي ضمن السرديّة الشيعيّة لا يزال غيرَ مرئيّ من الناحية الزمنيّة نتيجة انتفاء شرط تحقق أيّ من تلك العلامات، وفي الوقت ذاته، لا يقلّلُ استعصاءُ تحقق علامات الظهور تلك، من قوّة المرجعيّة العميقة والمؤثّرة للأسطورة الدينيّة داخل الفقه الشيعيّ، بشقّه الميثولوجيّ حين يحاكي حتميّة الجهاد، وهذا وعيٌ جمعيّ يصعبُ ليّهُ، أو إعادة طرحه للنقاش والتداول الفقهي، لأنهم أيضاً يقيمون وزناً لعلامةٍ أخرى من علامات خروج المهدي، تلك التي تخصُّ حديثاً منقولاً عن علي بن عيسى الذي نقله عن أيوب بن يحيى الجندل الذي نقله بدوره عن أبي الحسن الأول، وفيه «خروج رجلٍ من مدينة قُمْ الإيرانية، يدعو الناس إلى الحقّ، ويجتمع معه قومٌ قلوبهم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح والعواصف، ولا يملّون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعافية للمتّقين». وهنا تتكلُ الدعاية الميثولوجيّة الشيعيّة على علي خامنئي، ليكون صاحبَ تلك العلامة، بعدما صار الوليّ الفقيه، والقائد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران منذ يونيو/ حزيران 1989، وهو الذي تتلمذ في حوزتي النجف، وقُم، وأعلنت جمعية حوزة قُم العلمية مرجعيّته المؤكّدة للشيعة الاثني عشريّة الأصولية، وذلك عام 1994، لتظهر لنا أهمية معالجة الخلل الناشئ بين المتخيّل والواقعيّ لدى صناعة الأسطورة الميثولوجيّة وتسويقها لديهم، وهنا يكتسب خامنئي أهمية استثنائيّة داخل الطقس الجهادي الشيعي، وتصير أفكاره بمثابة توجيهات عامة لا تقبل النقاش داخل الفضاء الاجتماعي، بما فيها الجهاد في سورية، ضدّ أعداء الشيعة، وتلبيةً لنداءات فقهيّة عميقة تستعجلُ خروج المهدي، وتستعجلُ أيضاً الثأر لمقتل الحسين بن علي، وهذا نجده في أحاديثَ عديدة، يستعملها فقهاؤهم كثيراً، وأحد تلك الأحاديث منسوبٌ إلى ابن عبّاس: «أوحى الله تعالى إلى محمد (ص) إنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأقتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً». طبعاً يحظى الحسين بن علي بمكانةٍ مركزيّة داخل العقيدة الشيعية، وربما ارتكزت بمجملها على مقتله في العاشر من محرّم سنة 61 للهجرة، الموافق 10 أكتوبر/ تشرين الأول عام 680 ميلاديّة، وهذا قد يضع الفظائع الكثيرة من قتل وتنكيل قامت بها مليشيات تابعة لإيران، وحزب الله، من أبرزها في مساق ذاك الثأر المؤجّل، والذي حوّل ريف دمشق وغيرها من

> تمضي الآلة العسكرية الإسرائيلية في تجسيد «وعد» الله لإبراهيم، بالأرض بين الفرات والنيل، شرطاً للعبور إلى حدود غير حدود سايكس بيكو

مناطقَ في سورية خرائبَ وأطلالاً، ولا تزال هكذا حتى يومنا هذا. أيضاً، صار الوزن السياسي للسنّة في سورية، بمرور الوقت، ولا سيّما بعد العام 2013 وزناً ضعيفاً، وغير مؤثّر في صناعة القرار، سواء داخل النظام السوري، أو داخل النظام العالمي الذي يدير الملفّ السوري. ونجد بصورة خاصّة اضمحلال هذا الوزن السياسي لدى سُنّة دمشق (الشوام) التي يُطبِقُ عليهم الإيرانيون الخِناقَ كما لو أنهم بالفعل قوّة احتلال أجنبيّ مباشر، بعد سيطرتهم على مفاصل أمنية وعسكرية وحكوميّة عديدة، ثمّ في ترسيخهم حالة التشيُّع بمظاهره العلنيّة، أو تلك المُخبّأة داخل أرديةٍ من التغلغل المدروس في الجامعات والمدارس والمناهج التدريسيّة، لدرجة أنّ اللغة الفارسية صارت منذ العام 2020 لغةً اختياريةً لطلاب المدارس الثانوية، عدا عن المحاولات الحثيثة لتقريب المدرّسين في مدارس العاصمة من المنظومة الإيرانيّة النافذة في إدارة الشأن العام، وهذا ما جعل تأثير مفهوم «الثورة الإسلامية في إيران»، ومراميها العديدة والداعية إلى مقارعة إسرائيل والولايات المتحدة، في طلبة المدارس معادلاً، أو ربما يزيد عن تأثير شعارات حزب البعث الحاكم الداعية إلى الوحدة والحرّية والاشتراكية، والتصدي للإمبريالية والصهيونيّة والرجعيّة. من دون التقليل من أهمية نمو هياكل إيرانيّة تنظيمية تماثل اتحاد الطلبة السوري، أو منظّمة شبيبة الثورة، ومنها كشّافة الإمام المهدي، التي ازداد توسّعها خلال الأعوام الماضية، في محاولة لإقحام الميثولوجيا الشيعيّة المتطرّفة في أدمغة الشباب السوري، وهي في طور التشكّل والاكتساب والمحاكمة. كما نجد في سورية، وإلى جوار هذه المسيرة الشيعية ذات البعد الملحميّ المُتخيَّل، المسكون بكثير من المظلوميّة والثأر المؤجّل، بدايةَ نفوذٍ آخر تُرسّخهُ إسرائيل بنموذجها اليمينيّ المتطرّف، والتي لم تتردّد في إرغام رئيس النظام السوري بشّار الأسد على مُساكنة التخاذل، وتقديمه للرأي العام شخصاً انتهازيّاً وفاشلاً وجباناً يقود بلداً مهزوماً ومدمّراً، وبذلك يُفسح المجال كاملاً لتسمين الهذيان التلموديّ، الذي يريد جَلْبَ وعد الربّ من الحيّز المتخيّل المتعالي، إلى الواقع الموضوعي المُتجسّد، ومثاله ما جاء في سِفر التكوين من كتاب التوراة، حين وعد الربّ إبراهيم قائلاً: «لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر، إلى النهر الكبير»، أي من النيل إلى الفرات، ولعلّ مثل هذا الهوس الميثولوجي نجده مُجسّداً في خريطة إسرائيل الكبرى المحمولة بعناية على عملة العشر أوغورات (تساوي عُشر شيكل)، ونجد في المقابل كيف أنّ الآلة العسكرية الإسرائيلية تمضي قُدماً (وإن على نحو مراوغ) في ارتكاب مثل هذا التجسيد المتطرّف في أرض الواقع، وتقديمه شرطاً ضمنياً يُتيح العبور إلى منطقة تكون حدودها غير حدود سايكس بيكو الحالية، وهنا يحتاج اليمين الإسرائيلي الحاكم إلى خوض صراع ميثولوجيّ ظاهرهُ سياسيّ، وحامله هوَ العقلية اليمينية المتطرّفة التي تحكم إيران منذ 1979، بهذياناتٍ ترويعيّة مُتخيّلة، لا تقلّ بأساً عن الموروث التلمودي المُتخيّل لدى حكومات اليمين الإسرائيلي، على أن تكون سورية هي أرضَ الميعاد لاحتضان هذا الصراع في مراحل تطوره المقبلة.

(كاتب سوري)

كاريكاتير **كارتون موفمنت**

«ليلة أمستردام»... شبح غزة يطوف أوروبا

مراد بطل الشيشاني

لمتابعي كرة القدم تسمياتهم الخاصّة للمباريات التي تُطبع في ذاكرتهم، مثل «هزيمة ماركانا»، حين هزمت الأوروغواي البرازيل في نهائي كأس العالم 1950، و«واقعة برشلونة»، حين هزمت إيطاليا فريق البرازيل الذهبي في كأس العالم عام 1982، أو «مؤامرة خيخون»، حين اعتبر كثيرون من محبّي الكرة العربية أن كلّاً من ألمانيا والنمسا تآمرتا لإخراج الجزائر من البطولة نفسها، أو «مجزرة هيسل» (بلجيكا، عام 1985)، حين فقد 39 بسبب انهيار حائط الملعب بسبب التدافع قبيل مباراة ليفربول الإنجليزي ويوفنتوس الإيطالي في نهائي أبطال أوروبا، أو «ليلة إسطنبول»، في المباراة التاريخية بين ليفربول وإي سي ميلان الإيطالي عام 1997، في نهائي أبطال أوروبا أيضاً، التي صُوّرت في فيلم درامي. الأمثلة كثيرة، لكنّ ليلة مباراة فريق مكابي الإسرائيلي مع أياكس أمستردام الهولندي، في السابع من نوفمبر/ تشرين الثاني 2024، لن تُذكَر لأيّ سبب رياضي، بل قلّة سيهتمّون بنتيجتها، بل ستُذكر لأنها مثّلت التداعيات السياسية المتوقّعة لحرب غزّة الدموية في قلب أوروبا، وستُذكّر بأولوية إنهاء المقتلة البشرية هناك، فالصدامات التي جرت بين مؤيّدي الفلسطينيين ومشجّعي نادي مكابي من الإسرائيليين جاءت فعلاً صادماً على خلفية تلك الحرب، إلى درجة أن الحكومة الهولندية طالبت بنقاش الأحداث في المفوضية الأوروبية. جرحى بالعشرات، ومعتقلين كُثر، وإسرائيل جهّزت طائراتٍ لإخراج جمهورها. وبعيداً عمّن كان وراء إطلاق الأحداث (يلقي كلّ طرف اللائمة على الآخر)، فأسباب التوتّر قائمة منذ زمن، واتّخذت طابعاً تصعيدياً أكثر منذ عام ونيّف، وطبعاً العنوان هو غزّة. أمستردام مدينة ذات طابع خاصّ، كانت تاريخياً ملاذاً للهاربين من الاضطهاد الديني، وتعدّ أكثر المدن الأوروبية ليبرالية، ولعلّ صدمة المدينة كانت كبيرةً حين اغتال محمد بويري (من أصول مغربية)، حفيد الرسام فان غوخ عام 2004، فأشار كثيرون إلى أن حال التسامح الذي تعيشه المدينة لم يحتمل إثارة حساسياتٍ دينية آنذاك. واليوم أيضاً، يبدو أن الحساسية السياسية تضرب في أكثر المدن ليبراليةً. منذ 7 أكتوبر (2023)، هناك مظاهرات أسبوعية في أمستردام لوقف الحرب في غزّة، وتأييداً للفلسطينيين، لا يخطئها زائر المدينة، ولا تقتصر تلك التظاهرات على تلك المدينة، بل هي عنوان رئيس في مدن غربية كثيرة. ومن ثم، الشحن السياسي قائم. تثير صدامات «ليلة أمستردام» نقطتَين أساسيّتَين. الأولى، حال العزلة التي تواجهها إسرائيل بفعل الحرب في غزّة. ففي حين كانت التظاهرات تنحصر في مطالبات سياسية وبرفض زيارات سياسيين إسرائيليين مثلاً، أو في الوقفات الاحتجاجية أمام بعثاتها الدبلوماسية، أو في المطالبة بوقف فعّاليات اجتماعية، أو رياضية، أو أكاديمية، وغيرها، تشارك فيها إسرائيل، لكنها أخيراً دخلت حيّز العنف، خاصّة في شكله غير المنظّم، بحيث يؤشّر إلى حال العزلة لإسرائيل ومجتمعها، وتصاعد المشاعر ضدّها في الجانب الآخر، بفعل استمرار الحرب في غزّة، الأمر الذي يثير إمكانية إنتاج حرب غزّة العنف في الخارج، فالمتوقع أن لا يكون هذا العنف تنظيمياً (أي مرتبطاً بتنظيمات سياسية معيّنة) بحكم غياب الأطر الجامعة لمنفّذي العنف، ولو آنياً. ثم إنّ هناك عامل «الإلهام» لمثل هذه المجموعات بشكل يجعل من إمكانية تكرارها محتملاً، وبشكل كبير في أكثر من مكان. لا ترتبط مثل هذه الحوادث بقضايا الاندماج أو نقاشات التطرّف بين أوساط المسلمين في الغرب (بشكلها الحالي تحديداً)، كما كانت الصورة في مراحل سابقة في أكثر من مدينة أوروبية. ولعلّ التحدّي المقبل سيكون في مباراة مكابي في إسطنبول، وهو لن يقف في حدود مباريات كرة القدم، عدا عن أن عامل «الإلهام» يبقى مثيراً لأولئك الشبّان في نسج شبكات ممتدّة تستفيد من الحدود الأوروبية المفتوحة، وهو ما يفسّر اعتبار الحكومة الهولندية «ليلة أمستردام» مشكلةً أوروبية.

> مواجهات أمستردام واحدةٌ من أنماط العنف التي ستنتجها غزّة

مواجهات أمستردام واحدةٌ من أنماط العنف التي ستنتجها غزّة، ولعلّ سمتها الأكثر وضوحاً (إلى الآن) غياب التنظيم، وهي في ذلك تحديداً تتشابه مع حالات الهجمات الفردية (الذئاب المنفردة) التي شهدتها الأردن (في المعبر مع إسرائيل)، أو بعض الهجمات في عدّة مدن غربية في غياب القيادة والتنظيم، وهما عاملان إن تحققا، فنحن إزاء مجموعات عنيفة أكثر تنظيماً، وهذا متوقّع في سياقات تطوّر مجموعات العنف السياسي، فشبح غزّة يحوم فوق أوروبا... وبالمناسبة فاز أياكس أمستردام على الفريق الإسرائيلي بخمسة أهداف نظيفة ليلتها.

(إعلامي أردني في لندن)

هل يُنجز ترامب «صفقة القرن»؟

لميس أندوني

لم يكن تعبير «صفقة القرن» يؤشر إلى خطّة سياسية أو مبادرة سلام، فالرئيس الأميركي دونالد ترامب، المنتخب للمرّة الثانية بعد أربع سنوات من مغادرته البيت الأبيض، لا تعنيه العدالة ولا حتى تسوية «ترضي الطرفين»، ولا الكلام المعسول والوعود الكاذبة كلّها بإنشاء «كيان مسخ» يسمّى «دولة فلسطينية»، فهو منذ البداية يرى القضية الفلسطينية «عقبةً» غير ذات أهمية تعرقل إحكام الهيمنة الأميركية وتحالفات «البزنس» في منطقة مهمّة من حيث الموقع والثروات الطبيعة. ولم يفهم ترامب لماذا لم يُحسم الصراع العربي - الإسرائيلي، وليست في قاموسه مفرداتٌ مثل تحرّر الشعوب وحقّ تقرير المصير، إذ يرى العالم بعيون الرأسمالي المتوحّش، لكنّه يفهم تماماً أهميةَ ضمان سيطرة أميركا وجبروتها على عالم يحكمه تراكم الثروات من دون حدود أو أخلاق.

ترامب هو منتوج النظام السياسي الرأسمالي الاستعماري من دون «فلترة» النظريات التي تدّعي امتلاك (ونشر) قيم إنسانية في العالم، فهو يعي تماماً أنها كلّها تُلقى في القمامة خدمةً للمصالح الأميركية. الفرق بينه وبين حزب الديمقراطيين، استعماري التوجّه، نيوليبراليّ الهوى، أنه لا يجامل، لكنّ الفارق الأكثر أهميةً أنهم يتصرّفون كسياسيين اكتسبوا خبراتٍ من تاريخ أميركا، وتوصّلوا إلى نتيجة أن القوّة وحدها لا تحافظ على هيمنة أميركا.

من وجهة نظر ترامب، الطرف الضعيف هو الفلسطينيون، فالمقاومة مهما بلغت شجاعتها وبسالتها مُجرَّد ردّة فعل الضعيف. ولعلّ في مشهد تعامله مع حائزات جائزة نوبل للسلام، ومنهن الأفغانية ملالا يوسفزي، التي أطلقت حركة طالبان عليها النار لتمرّدها على قرار حظر تعليم البنات، نافذةً على قساوة «المنتصر» وعنجهيته، فهو لم يكلّف نفسَه عناء الترحيب بهن، وجلس إلى المكتب متعلّلاً بانشغاله، وعندما سأل ملالا لماذا حازت جائزة نوبل وأجابته، هزّ رأسه، وقال بسخرية: «أطلقت النار عليك وأخذت جائزة على ذلك؟». القصّة أكبر من محاولة تحليل شخصية ترامب، لأن السياسة الأميركية الاستراتيجية لا يقرّرها هو، بل يحاول تنفيذها بطريقته. فمن وجهة نظره، التي يعرفها من تابعه سنوات طويلة، أو شاهد حلقاتٍ من برنامجه «المتدرّب»، يعرف تماما أنه يؤمن بمقولة «المنتصر يأخذ كلّ شيء»؛ أي لا مساومات ولا اعتراف بحقّ أو حقوق. وقد تعامل بالعقلية نفسها خلال ولايته في البيت الأبيض رئيساً لأميركا، فوجد أن العالم ساحته، وأن «إدارة العالم» لا تختلف عن إدارة «امبراطورية شركاته ومؤسّساته». فشخصيته لم تكن لتتغيّر كثيراً لو تصدّى لها الحزب الديمقراطي، وبخاصّة في ما يتعلّق بالسياسة الخارجية، لكنّها في الحقيقة لا تتعارض مع استراتيجية أميركا في المنطقة.

بدت قيادة الحزب الديمقراطي في حالة ذهول عندما اتّخذ ترامب قراراتٍ لم يكن ليجرؤ عليها أيّ رئيس سابق، خطوات أصبحت أمراً واقعاً، بل سار في نهجها الرئيس جو بايدن والحزب الديمقراطي، ما يدلّ على أن ترامب قد يكون أكثر «همجية في التعبير»، لكنّها خطوات تعبّر عن حقيقة السياسة الأميركية، أي كان تردّدهم في جزء كبير منه جُبناً. ولكن هناك سببٌ أكثر أهميةً تتحمّل الأنظمة العربية مسؤوليته، إذ لم يتوقع معظم الساسة الأميركيين، بمن فيهم أعتى الصهاينة، ردّة الفعل العربية الهزيلة على نقل السفارة الأميركية إلى القدس، وبعضهم أعلن دهشته من نجاح ترامب في عقد الاتفاقيات الإبراهيمية مع الإمارات والبحرين، لجهة قبول الشروط التحالفية الهيّنة، أو حقيقة أن الدول العربية لم تنتقد هذه المعاهدات، فحتى مصر والأردن لم يقبلا (ولم يفرضا) تطبيعاً شعبياً، ولم يتبنّيا الرواية التاريخية الإسرائيلية.

لم تكن سياسات ترامب العملية تتناقض مع الاستراتيجية إلّا تكتيكياً، فأغلب الخبراء، بمن فيهم قيادات في اللوبي الصهيوني، كانوا يعتقدون أنه تهوّر بخطواته.

إذ توقّعوا ردّة فعل عربية غاضبة تعيق هدف دمج إسرائيل في المنطقة وإقامة تحالف عسكري أمني عربي إسرائيلي بحجّة مواجهة إيران. لذا؛ كان توقيع الاتفاقيات الإبراهيمية، وما تلاها من هدوء، سبباً لفرح واحتفال بإنجاز تاريخي غير متوقّع اعتبرته الأوساط الصهيونية (وغير الصهيونية) في أميركا نقطةَ تحوّل فاصلةً لصالح إسرائيل.

الأكثر أهميةً أن بايدن سار علي خطى ترامب، وإنْ تبدو محاولته رعاية توقيع معاهدة «سلام» سعودية إسرائيلية قريبةَ المنال إلى لحظة انطلاقة «طوفان الأقصى» الذي أفسد المحادثات مع الجانب الأميركي في هذا الخصوص، بل عطّلها، إذا عدنا إلى الليلة التي سبقته. فقد كان أكثر ما بدأ به ترامب أهميةً قبل انتهاء ولايته ضمّ السعودية إلى المعاهدات الإبراهيمية، وما فعله بايدن هو إكمال المشروع. فعظم زيارات وزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن، يساعده مبعوث ما تسمّى «قضايا الطاقة»، كانت رحلات مكّوكية بين تلّ أبيب والرياض. أي أن جزءاً من ردّة الفعل الأميركية كانت غضباً من قطع الطريق (على الأقلّ وقتياً)، على اتفاق سعودي - إسرائيلي علني، إضافة إلى الزلزلة الأمنية التي حقّقتها حركة حماس بهجومها المفاجئ على إسرائيل.

سيتابع ترامب ما كان قد بدأه، وما حاول تحقيقه بايدن، ويتشارك مع الأخير في ضمان تفوق إسرائيل العسكري والأمني، لكنّ الفارق بينهما أنّ بايدن لا يرى معنىً لاستمرار الحرب، ليس شفقةً أو تعاطفاً مع معاناة الشعبَين الفلسطيني واللبناني وشقائهما، وإنّما هو غير معنيٍّ بالحرب، بل بمعرفة أهداف إسرائيل وانسجامها مع أهداف أميركا، وبالاتفاق على خطوات لتحقيقها. سيعتمد ترامب، على الأرجح، على مزيج من ترهيب الأنظمة وتوظيف الشراكات التي أسّسها وصهره جاريد كوشنر مع مسؤولين وحكّام عرب، طابعها مالي، ولكن فيها تعميقاً لتبعية مسؤولين وحكّام عرب للسياسة الأميركية.

فقد صرّح كوشنر بأنه لن ينضمّ إلى إدارة ترامب، لكنّه سيعطيه المشورة. وقبل أشهر، اقترح علناً تحويل شاطئ غزّة إلى منتجعاتٍ سياحية، وقال إنه سيستثمر فيها.

> القصّة أكبر من محاولة تحليل شخصية ترامب، لأن السياسة الأميركية الاستراتيجية لا يقرّرها هو، بل يحاول تنفيذها بطريقته

من الصعب التنبّؤ بما سيفعله ترامب، لكنّ الأرجح أن يحاول إقناع رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو بأنه حقّق نصراً ساحقاً على «حماس» وحزب الله، وأنه آن الأوان لتنفيذ خطّةِ جني الأرباح، أي فرض شروط على الأنظمة العربية، لتتحمّل «عبء الفلسطينيين». وقد يتضمّن هذا إنشاء مناطقَ عازلةٍ عند حدود الأردن ولبنان ومصر، قد تتحوّل مستوطناتٍ يهودية إذا لزم الأمر، أي تحقق أحلام نتنياهو وبتسلئيل سموتريتش، وقبلهما زئيف جابوتنسكي، أحد أكثر مؤسّسي الصهيونية أهميةً. وقد يقبل ترمب بها، ليس بدافع ديني أو توراتي أو محبّةً بإسرائيل، بل لتذويب الهُويَّة الفلسطينية، ولفصل الشعوب العربية عن فلسطين.

لن يكون مستغرباً إذا سعى ترامب إلى دور إماراتي في إدارة غزّة، فهي مشروع «بزنس» له، وبؤرة أمنية يجب تحييدها. القيادي المفصول من «فتح» محمد دحلان روّج مثل هذه الخطّة في مقابلة «نيويورك تايمز معه (2024/2/13)، وعادت الإمارات إلى إعلان جهوزيّتها للقيام بالدور المطلوب في خطتها لليوم التالي (العربي الجديد 2024/10/25). وخلافاً لاتفاق حركتي حماس وفتح أخيراً، لا واحدة منهما مقبولة لإدارة غزّة، فالمطلوب نزع الهُويَّة الفلسطينية لغزّة. أمّا الضغط الأكبر فسيكون على عاهل الأردن، فترامب، كما عبّر عن ذلك في مكالمات مع الملك عبد الله الثاني بين عامي 2017 و2018، يريد من الأردن تولّي إدارة الضفة الغربية أمنياً. وقد رفض الملك ذلك في حينه، لأنها ببساطة خطوة إلى الانتحار، ووصفة لحرب أهلية ولتقويض الاستقرار في الأردن.

إحدى أولويات ترامب هي كيف يستطيع فرض الاستسلام النهائي على الفلسطينيين والعرب، بعد ما يعتبره «سحق» حركة حماس وحزب الله، أو على الأقلّ محاصرتهما تماماً بمساعدة الدول العربية في فرض شروط الاستسلام والتخلّي عن القضية الفلسطينية. صحيح أن المقاومة باقية، لكنّ الخوف هو من التواطؤ والتعاون العربي اللذين يعوّل عليهما ترامب ثقة العارف بضعف النفوس.

(إعلامية من الأردن)

لا لتسويق الأوهام

صلاح الدين الجورشي

رغم أن الحزب الديمقراطي لا يختلف عن الحزب الجمهوري في دعم الكيان الصهيوني وطمس الحقوق الفلسطينية الثابتة والشرعية، فضّل بعضنا وصول المرشّحة الديمقراطية كامالا هاريس بدلاً من (الجمهوري) دونالد ترامب، بحكم أن هاريس مدركةٌ أن ما يحصل في غزّة إبادة علنية لجزء من الشعب الفلسطيني. لقد صرّحت بذلك أمام الجميع في ظرف فوجئت به، ولم تخطّط لكيفية التعامل معه. رغم ذلك، فاز ترامب، وعاد إلى البيت الأبيض ليكمل ما سُمّيت «صفقة القرن»، الذي بدأ تنفيذه خلال دورته الرئاسية السابقة. هذا المشروع الذي لا يكتفي بتمكين إسرائيل من القدس بتاريخها كلّه، وبرمزيتها الدينية، وإنّما يضع تحت تصرّفها (إسرائيل) 60% من الضفة الغربية. وبما أن غزّة تحوّلت أشبه بالخرابة، فحتى لو افترضنا أن ترامب سيقرّر الإسراع في وقف الحرب، فإنه سيضع شروطاً رهيبةً تحوّل غزّة مدينةً من دون سلاح، أي من دون مقاومة، تحت الهيمنة الإسرائيلية عسكرياً واقتصادياً، لا يدخلها طعام ولا دواء، إلّا بمقدار.

لا بدّ من الإقرار بأن الرياح تجري ضدّ مصلحة الشعب الفلسطيني، الذي تتراجع حظوظه في إقامة دولة في أرضه. فعودة ترامب إلى الحكم خبر سيّئ بجميع المقاييس، وذلك بالرغم من الإنجازات كلّها التي تحقّقت خلال السنة الماضية (استعرضها كاتب هذه السطور في مقالات سابقة). المؤكّد أن التوصّل إلى قرار يقضي بوقف الحرب من شأنه أن يضع حدّاً للمجازر اليومية التي ترتكب في حقّ المدنيين، ويمنح الغزّيين فرصةَ دفن شهدائهم، وإطعام أبنائهم بما سيتوفر من مساعدات، ومعالجة جرحاهم، والعودة الى أحيائهم لترميم ما تبقّى من بيوتهم. لكنّ السؤال الأصعب: ما هو المقابل السياسي الذي سيحاول ترامب أن يفرضه عليهم حتى يُرضي الثعبان الإسرائيلي الذي لا يشبع؟... تؤكّد أستاذة العلوم السياسية في جامعة هاورد الأميركية أن ترامب «لن يدعم حلّ الدولتين، بل سيسعى إلى واقع تسيطر فيه إسرائيل على جميع الأراضي الفلسطينية المحتلّة»، وهي تتوقّع أسوأ من ذلك حين اعتبرت أنه «لن يسعى إلى وقف الإبادة الجماعية، ولن يضغط على إسرائيل لإنهاء عملياتها العسكرية في لبنان، إلّا بعد تحقيق أهدافها في المنطقة». عربياً، لا يوجد أمل في تغيير المشهد الراهن إقليمياً ودولياً، فقطار التطبيع يسير وفق خطىً ثابتةٍ، وستنضمّ إليه دولٌ عربيةٌ وازنةٌ، سواء برغبتها أو تحت الإكراه، فشخصية ترامب تجعل منه رئيساً قادراً على تجاوز الخطوط الحمراء كلّها التي توافقت عليها الدول. ومن يعتقد أن الرجل سيقدّم خدمةً مجّانية للفلسطينيين وللعرب سيكون واهماً، فعلاقته بالدوائر الصهيونية أكثر وثوقاً من علاقة جو بايدن الذي سبق أن اعترف بأنه «صهيونيّ». ولم يخطئ نتنياهو عندما بقي يراوغ الإدارة الديمقراطية لتوقّعه ربحاً أكثر مع إدارة جمهورية بقيادة ترامب، مدعوماً من المليارديرة ميريام أديلسون، التي أنفقت مائة مليون دولار في الحملة، فهي تعتبر إمبراطورة القمار في أميركا، إلى جانب أنها ناجية من «الهولوكوست»، وجندية سابقة في جيش الاحتلال، وتفتخر بأن زوجها يشبه كثيراً تيودور هرتزل، المؤسّس الحقيقي لدولة اليهود، الذي نظّم أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا عام 1897. فماذا ننتظر من رئيس تلتفّ حوله شخصيات من هذا الطراز. تدلّ المؤشّرات كلّها على أن معركة المقاومة الفلسطينية ضدّ إسرائيل والولايات المتحدة مرشّحة لكي تستمرّ من دون هوادة، إلى أن يتغيّر ميزان القوى وتتراكم المؤشّرات الإيجابية. لا ندري الأسباب التي دفعت جزءاً مهماً من العرب والمسلمين في أميركا إلى منح أصواتهم لترامب، وهو ما عزّز من حظوظه في النجاح، وجعله يوجّه شكره وامتنانه إليهم، لكن المصالح والتوجّهات الاستراتيجية تبقى فوق كلّ اعتبار، فجميع الحقوقيين والديمقراطيين في العالم يُجمعون على القول إن القيم الإنسانية والأخلاقية الكونية تلقّت بنجاح ترامب ضربةً أخرى في سياق صعود اليمين المُتطرّف. الشعبوية تكتسح في مرحلة تاريخية تشهد رِدّةً أخلاقية وقانونية كُبرى.

في دواعي قلق الأوروبيين من ترامب

فاطمة ياسين

قفز دونالد ترامب فوق استطلاعات الرأي كلّها، وحقّق فوزاً واضحاً، حتى حاز غالبية الأصوات فيما عرفت بولايات التأرجح جميعها، وبفارق ملموس، ما يعني أن الناخب الأميركي موافق على رؤية ترامب، ويساند الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها خلال مدّة رئاسته الثانية، وتعزّزت الموافقة باكتساح الجمهوريين الكونغرس الأميركي، وتابعنا قلق بعض الأوساط السياسية، خصوصاً في أوروبا، مما يمكن أن يقوم به الرئيس الجديد، رغم أن تصريحاته لا تختلف في الجوهر عن مواقف كان قد أعلنها سابقاً الرئيس الديمقراطي باراك أوباما تجاه حلفائه الأوروبيين، حين قال إن تركيز سياسته الخارجية سيكون في آسيا، وليس في أوروبا. وفي نهاية ولايته الثانية، انتقد أوباما، في مقابلةٍ مع «ذي أتلانتيك»، بشدّة تصرفات الأوروبيين ونقص الإنفاق الدفاعي، معلناً أن «المتطفّلين يزعجونني». وكان جورج بوش قبله يطالب أن تنفق أوروبا المزيد في الدفاع، لكنّ الفارق أن الرؤساء السابقين أكّدوا أهمية حلف شمال الأطلسي (ناتو)، بينما يُقال إن ترامب سيكون سعيداً بتركه تماماً، بعد أن صرّح في حملته الانتخابية أن على الأوروبيين الاعتماد على الذات والكفّ عن مناداة أميركا للوقوف في خطّ المواجهة عند أيّ تهديد. ويكتسب هذا النداء أهمّيةً خاصّةً في ظلّ تطورات الحرب في أوكرانيا وتداعياتها. لدى أوروبا معايير عديدة تتعلّق بوضعها الاقتصادي، ومشكلات الهجرة المزمنة، وقضايا الأمن الكبرى، خصوصاً في زمن الحرب المشتعلة في قلب القارّة منذ أكثر من عامَين، ولطالما شاركت الولايات المتحدة بفعّالية في الهمّ الأوروبي، فاتّخذت موقع القائد والمموّل، وأحياناً المرشد، وهو دور ذو تكلفة عالية كما يراه سياسيون أميركيون يقتطع من حصّة المواطن، الذي يجب ألّا يُقحَم في مسألة كهذه قد تكون ضئيلة الأهمية عنده، إذ يمكن تحويل الأموال المدفوعة في سبيل الأوروبيين إلى استثمارات داخلية تنشئ مزيداً من الفرص والوظائف، الأمر الذي يعني العودة بالولايات المتحدة إلى ما قبل 5 أكتوبر/ تشرين الأول عام 1937، حين ألقى الرئيس فرانكلين روزفلت ما سمّي خطاب «الحجر الصحّي»، الذي تخلّى فيه (جزئياً) عن سياسة الولايات المتحدة الانعزالية، التي كانت متّبعةً منذ عقود، فاتّخذ موقفاً عدائياً من دول لم يسمّها تنتهك الاتفاقيات الدولية، وكان يشير إلى اليابان وإيطاليا وألمانيا، ولكن رغم سياسة الخروج من الشرنقة الحذرة تلك، لم تدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية إلّا بعد تعرّضها لهجوم مباشر في ميناء بيرل هاربر في سبتمبر/ أيلول 1941، وعندها كان قد مضى على دخول أدولف هتلر باريس عام. ومنذ ذلك التاريخ، لم يتوقّف الانشغال الأميركي بقضايا العالم. من الصعب على ترامب عملياً أن يخرج ممّا هو متصل بأوروبا كلّه، ولكنّه قادر على إعادة جدولة سياسته تجاهها، ولعبِ دورٍ تنظيميّ واستشاريّ بدل الدورين القيادي والتمويلي الحاليين، فقد موّلت الولاياتُ المتحدة الحرب الأوكرانية بشكل كبير، وكانت سبباً في استمراريتها. وتنفيذ ترامب تصريحاته غداً قد يعني مزيداً من الأعباء على أوروبا، فالرجل يرغب في تخفيض نسبة المشاركة الأميركية في حلف شمال الأطلسي، الذي يشكّل الواجهة العسكرية الأوروبية في وجه روسيا، وترفع من نسبة قلق الأوروبيين تصريحات له متعلّقة بالاقتصاد، من قبيل أن تكون شركات السيّارات الألمانية أميركية، في تلميح إلى إمكانية نقل الإنتاج إلى الداخل الأميركي، مع وعده بضرائب وتكاليف وقود أقلّ.

قد يبدو مصادفاً أن مؤتمراً أوروبياً عقد قبل أيام في هنغاريا، وضمّ زعماءَ من كل الدول الأوروبية، وكان واضحاً أن ظلّ انتخاب ترامب مخيماً بقوة على نتائج هذا المؤتمر الذي نصّ في بيانه على مزيد من التعاون الداخلي، وتحمّل مزيد من الأعباء، وهذا ربّما يحفّز (وقد يجبر) كلّاً من فرنسا وألمانيا، قطبي أوروبا الاقتصاديين، على مزيد من التقارب والانسجام، وهما يشكّلان العمود الفقري الذي تقوم عليه كلّ معاني الوحدة الأوروبية.

إهانة دبلوماسية لفرنسا

سلام الكواكبي

تعرّضت فرنسا قبل أيام لإهانة موصوفة من عناصر من الشرطة الإسرائيلية في القدس المحتلّة، في أثناء استعداد وزير خارجيتها جان نويل بارو لزيارة مقرّ ديني تحت إدارة الدولة الفرنسية، إذ ألقت السلطات الإسرائيلية القبض على عنصرين من الجيش الفرنسي مكلّفين بحماية المقرّ، بحجة تعرّضهما لعناصرها. وأمام عدسات الصحافيين الأوروبيين، أستهزأ الأمن الإسرائيلي بالقوانين الدولية المعنية بحصانة الأراضي التابعة لدولة أجنبية، وبحصانة العاملين فيها. لوى الإسرائيليون أيدَي أفرادٍ رسميّين من بلد حليف لم يتردّد قادته يوماً في السعي الحثيث إلى تسوّل الرضى اليميني المتطرّف في تلّ أبيب، كما لم يخجل القائمون على وسائل الإعلام في هذا البلد الحليف (فرنسا)، منذ 7 أكتوبر (2023)، من نشر معلومات كاذبة في أغلبها، واعتمد هذا الإعلام في تحرير خطابه على سردية الخطاب الرسمي والعسكري الإسرائيلي، من دون ممارسة أي تدقيق مهني في حدوده الدنيا المُتعارف عليها. ولاحقت الشرطة القضائية، كما أجهزة القضاء فيه، كلّ من سوّلت له نفسه الأمّارة بسوء التقدير بالتضامن مع ضحايا المجازر الإسرائيلية من المدنيين الفلسطينيين. وسيكون الأمر جريمةً نكراء إن ندّد وشجب واحتجّ سلمياً مرتدياً ملابسَ قد تشير من قريب أو من بعيد إلى الشعب المذبوح. ذلك كلّه سيقود مقترفه حتماً إلى أن يقع في خانة «المجرمين» المناهضين للساميّة، و«المحرّضين» على العنف وعلى الإرهاب، لا أكثر ولا أقلّ.

يقع هذا الحادث في وقتٍ تخلّت فيه فرنسا تماماً، ومن دون أي أسف أو وجل، عن تمايزها التاريخي التقليدي في بناء العلاقة مع الشرق القريب، فقد أسّس الجنرال شارل ديغول، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، قاعدةً من الاستقلالية النسبية الفعّالة عن المسار الأطلسي عموماً، والأميركي خصوصاً. وقد تمحوّر هذا التمايز خصوصاً في ما يتعلّق بالموقف من الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وفي المطالبة بتطبيق القوانين الدولية والاعتراف بحقّ الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. وبالطبع، كان هذا التخلّي تدريجياً، إذ بدأ فعلياً مع الرئيس نيكولا ساركوزي (2007 . 2012)، وتعزّز في زمن فرانسوا هولاند (2012 . 2017)، وانفجر بكلّ جرأة وبشكل متصاعد مع وصول إيمانويل ماكرون إلى قصر الإليزيه في عام 2017.

وعلى الرغم من فورة الشعور الوطني، بمعنييه العصابي والعنصري، في أوروبا عموماً وفي فرنسا خصوصاً، إلّا أن هذا الاعتداء الصارخ على رموز عسكرية فرنسية لم يجد له إدانةً واضحةً من الجسم الإعلامي الفرنسي، وخصوصاً المحطّات الإخبارية التي تبثّ باستمرار. وقد وصل الأمر إلى أن تعلّق صحيفة بارزة بقولها: «ربّما كان العسكريان الفرنسيان من أصل مغاربي، وبالتالي ربما يكون الأمر قد اختلط على الشرطة الإسرائيلية وظنّت أنهما فلسطينيان». وهذا كلام عنصري كان يودي في زمنٍ قريب بصاحبه إلى قاعات المحاكم، ينهمرُ اليومُ من كبار الصحافيين وسياسيين عديدين وكثيرين من «مثقّفي» الاقتناص. لم تدم مهزلة التبرير التي حشد لها أصدقاء إسرائيل العدّةَ والعديدَ، إذ عبّر ممثّلو الجهات العسكرية المختلفة بشكل واسع عن إدانة صريحة للعمل الإسرائيلي الواضح على توجيه رسالة سياسية عبر هذه الممارسة العنيفة إلى أصحاب القرار في باريس، فعلى الرغم من الانحياز الكامل لآلة الموت الإسرائيلية في بداية الحرب على غزّة، إلّا أن الموقف الفرنسي قد تغيّر نسبياً مع امتداد المجزرة في الزمن وفي النتائج، فسجّلت الأسابيع الماضية تصريحاتٍ فرنسيةً مختلفةً عما سبقها، وفيها دعوةٌ صريحة إلى أن توقف إسرائيل إطلاق النار على مدنيي غزّة، وصولاً إلى الحديث عن

> تخلّت فرنسا تدريجيّاً عن الاستقلالية النسبية عن المسار الأطلسي، والأميركي، في ما يتعلّق بالموقف من الاحتلال الإسرائيلي

ضرورة وقف تصدير الأسلحة الى جيش الموت الإسرائيلي. وقد أجمع المراقبون على أن هذه العملية كان قد خُطّط لها ولم تكن ابنة لحظتها.

في اليوم الذي سبق هذا الحدث، فتح مشجّعو فريق باريس سان جيرمان لكرة القدم، ومع بدء مواجهة كروية للاعبيهم مع فريق إسباني، لوحة قماشية ضخمة على المدرّجات فيها رسمٌ للمسجد الأقصى، وطفل لبناني مُدمّى، ودبابة إسرائيلية، وشابّ فلسطيني يعتمر الكوفية، وخريطة فلسطين، وعبارة «فلسطين حرّة». وفي أسفل التشكيل كتب: «لتكن المعركة في أرض الملعب وليعمّ السلام خارجه». ولقد أثارت وسائل الإعلام الفرنسية إياها اللغط بشأن هذا التصرّف، داعيةً المسؤولين إلى محاسبة المشرفين على النادي الباريسي لسماحهم لرابطة المشجعين، بحسب ما سمّاه إعلاميو الإثارة، بالدعوة الى إزالة إسرائيل. وفي إطار السباق الرسمي الفرنسي في التودّد لليمين المُتطرّف الإسرائيلي، دعا وزير الداخلية مسؤولي النادي والاتحاد الكروي إلى اجتماع عاجل لمناقشة الأمر. وأسهب سياسيون، من توجّهات تميل إلى اليمين ومتطرّفيه، باستعراض قدرتهم على التنافس بهدف إرضاء مجموعات الضغط الفاعلة والعاملة على نشر (وترسيخ) السردية اليمينية المتطرّفة القادمة من تلّ أبيب، كما ومن أبواقها الباريسية.

من المُستبعَد أن تترتّب من حادثة القدس أيُّ عواقب يمكن أن تنعكس سلباً على العلاقات بين باريس ودولة الاحتلال. في المقابل، سيتكثّف التركيز في لافتة ملعب الكرة، وما يستجدّ من تعبيرات إنسانية عن رفض جرائم الإبادة الجماعية الإسرائيلية، وذلك بهدف نسبها إلى «معاداة الساميّة».

(كاتب سوري في باريس)

شتاء قاسٍ في غزّة

يقظان التقي

ظروف لا تطاق في قطاع غزّة مع استمرار الحرب وانتشار الجوع والمرض وسط العدوان الإسرائيلي الوحشي، وتوقّف الجهود المتكرّرة لتوفير الإمدادات الإنسانية الضرورية للبقاء. ولا تزال السلطات المحتلّة ترفضها، ولا تسمح إلا بدخول جزء صغير من كمّية المساعدات التي كانت تدخل قبل الحرب. ليس السماح بدخول الغذاء عملاً خيرياً، هو التزام أخلاقي بموجب القانون الدولي الإنساني، ورفض الامتثال له جريمة حرب مع أوامر الإخلاء التي يصدرها الجيش، ويتبع بعضها بعضاً. ما يجبر السكّان على الانتقال من مكان إلى آخر، حيث يستمرّ القتال، ولا توجد استراتيجيّة للخروج من الأزمة.

على النقيض من ذلك، أخطرت إسرائيل الأمم المتحدة رسمياً بإلغاء الاتفاقية التي تنظّم علاقاتها مع وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، بما يشمل قطاع غزّة الذي تخترقه الحرب. ويواجه القرار استنكاراً دولياً وتنديداً من عواصم أوروبية بحظر أنشطة الوكالة، ومن مفوضها العام فيليب لازاريني، الذي اعتبر القرار «سابقة خطيرة» تزيد من معاناة الفلسطينيين. لقد أصبح شمال قطاع غزّة مسرحاً للقصف والتفجيرات وقتال الشوارع والمجاعة، ويشعر المدنيون بكابوس متكرّر في مشاهد تعود إلى ما قبل عام من بداية الحرب الإسرائيلية. والقتال مجدّداً يدور حول المستشفيات، ولا يزال ممنوعاً على الصحافيين دخول المناطق التي تشهد وضعاً كارثياً، والمصابون الذين يدخلون المستشفى الوحيد في المنطقة يموتون بسبب نقص الدواء، وتستهدَف الطواقم الطبية. وفقاً للتقديرات، لا يزال ما بين 250 إلى 400 ألف يعيشون في شمال القطاع. الأزمة الإنسانية مطلقة، والوضع أسوأ من الوضع المروّع. وتقول «أونروا» إن معظم القوافل القادمة من جنوب القطاع ترفض، وعدد قليل من الشاحنات (10% من احتياجات سكّان القطاع) تمرّ عبر الشمال بسبب العمليات العسكرية المستمرّة.

لم يعد هناك طعام أو ماء، والآبار جافّة ولا توجد موادّ ضرورية للحياة مع اقتراب فصل الشتاء. لا توجد طبابة ولا تعليم للأطفال مع صعوبة عودتهم إلى الصفوف المدرسية. سيفعل الأطفال أيّ شيء ليتعلّموا في سنة ثانية من دون تعليم، ونحو 625 ألفاً يعيشون محرومين من المدارس. البقاء على الحياة هو صراع يومي، ويشعر الآباء بعدم قدرتهم على توفير التعليم لأطفالهم، وهم لا يعرفون إذا بقوا في الحياة غداً. يتمكّن الموت من تأسيس نوع من الروتين، مع الحاجة إلى جهود دولية سريعة لوقف الحرب وإعادة بناء نظام التعليم وإعادة بناء المدارس. وبحسب إحصاءات وزارة التربية والتعليم في غزّة، دُمِّر 42% من المباني المدرسية، وتعرض 30% لأضرار جسيمة، و24% لأضرار جزئية.

ما يحدث أفظع من أيّ شيء يمكن تخيله. يُجلى الأهالي من مكان إلى آخر، أو يقتلون في الطريق. ويواجه الناس صعوبة في التحرّك. لم يبقَ عندهم شيء. أصبح الغزّيون منهكين من النزوح المستمرّ والظروف غير الصالحة للعيش، وهم محاصرون في مناطق صغيرة ومكتظّة على نحو متزايد. القانون الدولي الإنساني واضح، فلا يمكن «إجبار الأشخاص الذين يجدون أنفسهم في منطقة حرب على المغادرة»، وجيش الاحتلال «مسؤول عن حيواتهم». وهو يتصرّف كأنها حرب عصابات يخوضها، لا تحترم حقّ الفلسطينيين في الحياة. مسؤولو الإغاثة دقّوا ناقوس الخطر بشأن تزايد الخسائر في صفوف المدنيين جرّاء تجديد الهجمات في الشمال لمنع حركة حماس من إعادة تجميع صفوفها هناك، ومن انهيار نظام الرعاية الصحّية وتقديم الخدمات: «جميع سكان غزّة معرّضون لخطر الموت». وحذّر الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريس، من أن المدنيين يواجهون «مستويات مروّعة من الموت والإصابة»، وأن «الحصار شمالي قطاع غزّة لا يطاق»، معرباً عن صدمته من العدوان القاتل والقتلى والجرحى والدمار، ومن الجوع الذي يزيد من معاناة المدنيين في شمال القطاع الذي «يعيش أحلك أيامه». المجتمع الدولي متباطئ. الناس على الأرض يعيشون تحت الأنقاض وعلى قطعة خبز أو ما يعادلها في اليوم.

أفاد تقرير للأمم المتحدة بأن نحو 345 ألفاً من سكّان غزّة، أي ما يوازي 16% من السكّان، سيواجهون جوعاً «كارثياً» هذا الشتاء، بعد التراجع الحادّ في دخول المساعدات. ولفت التقييم الذي أعدّته وكالات أممية ومنظّمات غير حكومية إلى أن هذا العدد يأتي بالمقارنة مع 133 ألف شخص مصنّفين حالياً ممن يعانون «انعداماً كارثياً للأمن الغذائي». تتلقى اللجنة الدولية للصليب الأحمر مكالمات «فوضوية»، عبر خطّ المساعدة الخاص، ممن أصابهم الخوف ولا يعرفون ما يفعلون. يبدو أن كلّ شيء رمادي؛

> أصبح الغزّيون منهكين من النزوح المستمرّ والظروف غير الصالحة للعيش، وهم محاصرون في مناطق صغيرة ومكتظّة بشكل متزايد

أطلال رمادية، مبان رمادية (هيومن رايتس ووتش)، والمصابون ينزفون ويموتون مع التقلّص الخطِر في المواد الطبّية والعلاجات الضرورية (المدير العام لمنظّمة الصحّة العالمية)، وتنقطع الاتصالات بانتظام. الناس تعيش ظروفاً لا يمكن مقارنتها بما حدث في السابق، وبأيّ شكل، نتيجةً لسياسة إسرائيل المُعلَنة التي تحرم الفلسطينيين من أنشطة «أونروا»، التي توظف 33 ألف شخص، بما في ذلك 13 ألفاً في غزّة، وتشكل العمود الفقري للمساعدات الإنسانية (80%). وتدير الوكالة المدارس والمراكز الصحّية في الضفة الغربية وفي مخيّمات الشتات. يلغي قرار الاحتلال امتيازات «أونروا» وحصاناتها، ما يؤدّي إلى وقف إصدار التأشيرات لموظّفي الأمم المتحدة، وإلى منع عبور البضائع إلى غزّة والضفة الغربية والقدس. فيما تصرّ الولايات المتحدة على دعوة إسرائيل إلى إلغاء القيود المفروضة على المساعدات الإنسانية في غزّة، والطلب عدم مهاجمة «أونروا»، لكنّ رفض إسرائيل قائم، ويتجاوز إطار التحالف الحكومي اليميني المُتطرّف ليشمل عديدين من قادة المعارضة. فكرة «أونروا» أن تبقى على قضية فلسطين حيّة، وهذا يفضح النيات والأسباب الحقيقية وراء الإجراءات الإسرائيلية، وفرض أمر واقع جديد في تجاوز القرارات الدولية ذات الصلة التمثيلية لقضية أرض وشعب، وقضية عودة اللاجئين الفلسطينيين في الخارج إلى ديارهم.

(كاتب لبناني)

هوامش على انتخاب ترامب رئيساً

جمال محمد إبراهيم

(1)

مَن يقف في زاوية بعيدة ويطلّ على السّاحة التي جاءت بدونالد ترامب ثانيةً رئيساً للولايات المتحدة، انتخاباً عبر أقوى النظم الديمقراطية رسوخاً في الظاهر، فسيرى في الصورة (في أبعادها الأكثر والأوسع شمولاً) واقعاً افتقد المنطق وفارق أكثر التوقّعات. شهد المتابعون واقعاً تساوت فيه فرص التقييم إيجاباً وسلباً بنسبتَين مئويتَين متساويتَين للمرشّحَين، اللذين تنافسا في الانتخابات. رجلٌ رأس الولايات المتحدة بين 2016 و2020، ولم ينجح في الفوز بفترة ثانية بسبب إخفاقاته في إدارة البلاد في سنوات فترته الأولى، يعود مرشّحاً من حزبه ثانية ويفوز في انتخابات 2024 على منافسته المرشّحة عن الحزب الديمقراطي، رئيساً للولايات المتحدة من جديد. يجد أيّ متابع للأوضاع السياسية في الولايات المتحدة أن ثمّة عوامل ألقت ظلالاً كثيفة لهذه التطوّرات في أساليب الإدارة والحكم، في دولة هي من أقوى الكيانات السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم.

(2)

لعلَّ أولى الملاحظات تتصل بالمستوى الذي بلغته مؤثّرات التقدم العلمي والتكنولوجي في تيسير التواصل والاتصال بعد ثورة المعلوماتية والتطبيقات الرقمية في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع. إذ مع اتباع أساليب محكمة في إدارة المشاركة الديمقراطية والانتخابات، صار التشكك في التحقّق من نتائج الانتخابات غير وارد، كذلك بلغت الشفافية مستوىً لا تقع معه أيّ تجاوزات من تزوير أو إهمال متعمّد أو غير متعمّد. في الوقت نفسه، وبالنسبة إلى الناخبين، صاروا أكثر عرضة لتأثيرات إعلام كاسح وذي خطر، وله من الوسائل والأساليب ما وفّرتها ثورات التواصل الرقمية والتقنيات المحدثة. لم يعد تشكيل الرأي العام في أي مجتمع تحدثه تلك الفضائيات وأجهزة الإعلام الكاسحة، بل تشارك في صياغته (تأثيراً وتفاعلاً) وسائلُ التواصل الاجتماعي المباشر، مثل «واتساب» و«فيسبوك» و«إنستغرام» و«إكس»، وما جدّ غيرها من منصّات ومنابر.

(3)

في النظر إلى طبيعة الأجهزة الإعلامية من صحافة مشاهدة عبر الفضائيات ومنصّات التواصل، أو تلك المقروءة في نسخها الورقية أو الناعمة، أو حتى المسموعة، لم تعد قدرات التفاعل المباشر معها في اتجاه واحد، بل صارت عمليات التأثير في الرأي العام أكثر تعقيداً، ولربّما منصّة ينشئها شخص واحد تترك أثراً يعادل ما تحدثه قناة فضائية كاملة. وبلغ التعقيد في الانتخابات الأميركية، وفي التنافس السياسي بين المرشّحين، درجاتٍ يجري معها التلاعب عبر المواقع الإلكترونية، سواء من داخل الولايات المتحدة أو حتى من خارجها. ثمّة ما تواتر عن اتهامات أحياناً طاولت روسيا وإيران بمحاولات لتخريب مواقع إلكترونية لأطراف سياسية في الولايات المتحدة. لم تعد الصورة مثلما كانت في سبعينيّات القرن الماضي من الدخول خلسةً إلى مكاتب الأحزاب السياسية المنافسة والتجسّس على مرشّح الحزب المنافس، مثل ما وقع في فضيحة ووترغيت التي أطاحت الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نيكسون.

(4)

الملاحظ هذه المرّة في الانتخابات الأميركية أن يكون للصحافة التي توصف بـ«التابلويد» دورٌ لافتٌ، فما تعرّض له ترامب من اتهامات كادت تقضي على مستقبله السياسي برمّته، كان من الموضوعات التي عادة تخوض فيها هذه الصحافة التقليدية. لم يكن غريباً في الانتخابات أن تخوض في مثل تلك الأمور فضائيات أميركية رصينة مثل «سي أن أن»، وأوروبية مثل «بي بي سي». الاهتمام بمثل تلك التغطيات التي كانت تعدّ من الترّهات، نجدها قد احتلت حيّزاً معتبراً، بما يعطي انطباعاً بأن ثمّة تحوّلات في طبيعة الأجهزة الإعلامية نحو الميل إلى تعزيز النواحي «الشعبوية» (إذا جاز التعبير) لانتخاباتٍ

> صار للقدرات الشخصية، وليس لرصانة مواقف الحزبَين الجمهوري والديمقراطي، الأثر الأكبر في ترجيح كفّة أيّ من المرشّحَين

قُدّر لها أن تأتي بالرئيس السابع والأربعين للولايات المتحدة الأميركية.

(5)

هنالك ملاحظة، وإن كانت أخيرة، لكنّها أهم ما لاحظه المتابعون في هذه الانتخابات. لعلّ تراجع الاختلافات بين الحزبين الرئيسين، الديمقراطي والجمهوري، في ما يتّصل بعموميات السياسات الداخلية والخارجية، قد أدّى إلى اهتمام ملحوظ بأهمية القدرات الشخصية في عملية التفضيل بين المرشّحين الرئيسيين. لذا، تركت المناظرات بين المرشّحين أثراً بليغاً في تحديد احتمالات فوز أحدهما على الآخر. لعلَّ من اللافت أنّ إشارة بعضهم إلى أن أداء الرئيس جو بايدن حين رشّح نفسه منافساً للمرشّح الجمهوري دونالد ترامب، لم يكن مقنعاً بما يكفي، وكان ذلك من أسباب إضعاف فرص المرشّحة الديمقراطية البديلة كامالا هاريس. ولربّما لم يكن ذلك سبباً رئيساً، بل إنّ إمساك الرئيس المغادر (بايدن) بالملفّات كافّة خلال فترة حكمه، لم يمنح هاريس، وهي نائبته، ما يساعد الناخبين في تقييم قدراتها السياسية. لقد خبر الناخبون (الشعبويون بخاصّة) خبراتٍ تراكمت لدى ترامب، فيما لم يروا عند هاريس تلك الخبرات.

(6)

لعلَّ حال الأحزاب والتيارات السياسية في الساحة الأميركية لا يغيب عن نظر المتابعين. لقد صار للقدرات الشخصية، وليس لرصانة مواقف تلك الأحزاب، الأثر الأكبر في ترجيح كفّة أيّ من المرشّحين، ترامب عن الحزب الجمهوري وهاريس عن الحزب الديمقراطي. ليس ذلك وحده، بل كان للمظهر العامّ والملامح التعبيرية وأسلوب الظهور المسرحي في اللقاءات الجماهيرية أثر ملاحظ؛ لهاريس تلك الملامح الضاحكة في مقابل الصرامة عند ترامب، ذلك الخارج من ضغوط اتهامات ومحاكمات هدّدت ترشّحه بصورة جادّة.

(سفير سوداني سابق)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads